رحلة الجهل والخجل (١)

بقلم: احمد الصراف

«ان المصلحة المشتركة للامة تتطلب توفير التعليم لكافة الافراد حيث ان في ذلك ضمانا للنظام والحرية» كلام منقوش على الحائط الخارجي لمكتبة بوسطن العامة.

* * *

عدت من رحلة الصيف غير المعتادة متأخرا منهوك القوى ماديا ومعنويا وجسديا، وكانت بانتظاري اكثر من ١٥٠ نسخة من الصحف المحلية التي تجمعت اثناء فترة الغياب.

بدأت بتقليب الصحف وقراءتها بتمعن في البداية، ولكن سرعان ما غلبني النعاس من شدة تكرار ما ذكر بها من اخبار وتفاهة اغلبها!!

اجازة هذا الصيف لم تكن بالقصيرة فقد استغرقت ٤٠ يوما بالتمام والكمال وكان اكبر ما تم انجازه فيها، اضافة الى ما قمنا به من دعم لاقتصاديات الدول التي قمنا بزيارتها، هو نجاحنا في ايجاد مكان لابننا البكر في مدرسة خاصة تعنى بالاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

سنقوم، ابتداء من هذا اليوم، بالكتابة عن الاحداث الخواطر، والامور الطريفة وغير الطريفة التي تعرضنا لها وتعرفنا عليها خلال تلك الرحلة.

بعد جهد جهيد ومعاناة كان لها اول ولا يبدو ان لها آخر حتى يومنا هذا، اسعدنا الحظ وحصلنا على مكان لابننا طارق الذي يبلغ السابعة عشرة من العمر في مدرسة خاصة بالولايات المتحدة الاميركية. تقع المدرسة، التي لا املك اية اسهم فيها، في منطقة كيب كود القريبة من بوسطن، وضمن غابة من الاشجار والطيور، ويشرف على ادارتها فريق من المشرفين والاخصائيين والاداريين الذين يمكن اعتبارهم من الاكفأ على مستوى الولايات المتحدة.

ثلاثة عشر عاما من البحث المستمر عن مدرسة مناسبة لابننا تكللت اخيرا بالنجاح، وربما تأخرنا كثيرا في ايجاد المدرسة المناسبة له في الوقت المناسب، فقد ضاعت خلالها على طارق وعلينا الكثير من الفرص التي لا يمكن تعويضها والكثير من الوقت الثمين الذي لا يمكن تقديره، ولكن عزاءنا انه وصل اخيرا الى المدرسة التي كان يحتاج لها بالفعل.

عشر سنوات عجاف طوال ونحن نحاول فيها ان نقنع كبار مسؤولي التربية والتعليم في هذا البلد بالاعتراف بانهم اعجز من ان يقوموا منفردين بحل مشكلة آلاف الاولاد والبنات ممن لديهم اعاقات تعليمية من نوع او آخر، وان من الضروري تعاون الطرفين لوضع حل لهذه الكارثة الاخلاقية والمخالفة الدستورية الصريحة، وشهادة للتاريخ فان الوزير الوحيد الذي ابدى بعض التفهم في هذا الموضوع كان الدكتور سليمان البدر، والذي اصر على وكيل الوزارة في حينها، السيد الخضري، بان يصدر لنا ترخيصا يسمح لنا بفتح مدرسة غير ربحية تقوم بالعناية بمن لم تتمكن الوزارة من توفير فرص التعليم المناسبة لهم، وقد اعتبر ذلك الترخيص (للاسف الشديد) الاول من نوعه في تاريخ التعليم في الكويت.

وقار عبدالرحمن الخضري وزهده، وانتماؤه لاحد الاحزاب الدينية التي تنادي بالاسلام حلا لكل مشاكلنا لم تكن كافية لكي يرحمنا او ان يترك رحمة الله تنزل علينا، فقد جاءت صياغته للشروط التي صحبت اصدار الترخيص وكأنه يقول لنا: اذا ما استطعتم فتح مدرسة ضمن هذه الشروط التعجيزية فانني سأقوم بحلاقة ذقني بعد شاربي!!

تعتبر مدرسة (ريفر فيو) الاميركية نموذجية بمعنى الكلمة، ويشرف على ادارتها واحد من احسن العقول في مجال تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة، وتعتبر المدرسة الداخلية هذه متكاملة في مجال توفير الخدمة التعليمية والتربوية والصحية، ويتم فيها تدريب كافة العاملين من مشرفين ومدرسين الى العمال العاديين ومسؤولي تحضير الاطعمة، امتدادا الى عمال الحديقة وانتهاء بعمال تنظيف الحمامات والممرات، يتم تدريبهم جميعا، وقبل التحاقهم بالعمل، على كيفية التعامل مع طلبة المدرسة وكيفية التعايش معهم ومعاملتهم.

مدرسة واحدة يبلغ عدد تلامذتها ١٥٠ طالبا وطالبة اختصرت بالطريقة التي تنظر بها لذوي الاحتياجات الخاصة وطريقة تعليمهم وتوفير احتياجاتهم، اختصرت حضارة امة كاملة، وبينت مدى التخلف الحضاري والتربوي الذي نصر على التمرغ فيه غير عابئين بالانجازات العظيمة للامم الاخرى، مدرسة واحدة بلغت قيمة انجازاتها النوعية في عشرين عاما ما عجزت عن انجازه اجهزة دولة كاملة انفقت ٥٠ بليون دولار على التربية والتعليم في السنوات الاربعين الماضية.